

مقاييس المعنى فونيم فوق التركيبي في القرآن الكريم بتحليل

علم الفونولوجي

بقلم: اني سوسلاواتي

Email: ani_hardiknas@gmail.com

الملخص

القرآن كتاب الله لا تنتهي عجائبه ولا يخلق من كثرة الرد، وهو كتاب اشتمل على التحدى من كل جانب: تحدى العرب والعجم، وتحد الجن والإنس، وتحدى سلف والخلف، من نزل في عصرهم والناس أجمعين إلى يوم الدين. والقرآن هو الهدف العلمية ولا الحدود لبحثه. فقد حفظ في سورة وفي آياته وفي كلماته وفي حروفه وفي تشكيلها وفي طريقة النطق بها، وفي رسم كلماته، وحفظ في لغته وفي تفسيره وفي أحكامه، وفي أدوات فهمه بعلوم اللغة والفقه والأصول، وحفظه العربي والأعجمي، والكبير والصغير. وللقرآن شحنة من الناحية اللغوية إما من النحو، الصرف، والدلالة. و من العناصر فيه إحدى منها عن التاريخ نزول القرآن بالصوت، لأن أرسل الله عزوجل جبريل ليبلغ آية من الآيات القرآن متواترا بالصوت أو باللسان.

والمفهوم بالصوت في علم اللغة هي آلة المواصلات التي يستخدم بها الإنسان. وله دور مهم لفهم التركيب الكلمات والجمل، لأن إلقاء الحرف يختلف على تغيير المعنى الكلمة، وإذا تنطق الكلمات أو الجمل بأصوات متنوعة، يؤثر عليها المعنى، ولهذا التنوع في علم الأصوات تسمى الفونيم التركيبي.

يهدف هذا البحث على عملية الفونولوجي اللغة العربية الذي ينقسم على الاقسام ويوضح العملية الفونيمية، ويعبر قواعد الفونولوجي اللغة العربية في القرآن. وكانت لغة القرآن فلغة الوحي لا يفصل ولا يوضح قواعد الفونولوجي بالصورة التفصيلية. وفي تحليل البحث تحتاج الخطوة على مبادئ علم الأصوات العام مثل مطالعة البحث، جمع الحقائق، وتجربة الحقائق.

أ. المقدمة

ينتج الإنسان بأنواع الأصوات اللغوية، وينقسم الأصوات على القسمين فهما فونيم التركيبي وفونيم فوق التركيبي. وإذا تنطق الـاحـد فسمعنا قطعاً من كلمة أطول من كلمات أخرى أو كانت الحركة أطول من حركات الأخرى. وتلك المشكلات في نظام الكتابة مسمى بالنبر والتنغيم، ومن ثم في علم فونولوجي سميت فونيم فوق التركيبي.

والمعرفة التي تحتاج لفهم اللغة هي معرفة عن موقع ومهنة الصوت ولا يكفي على فهم الأحرف، كلمة، والجملة بلا معرفة علم الأصوات. هكذا منزلة اللغة العربية وهي أقدام اللغة في العالم التي يستخدم بها الإنسان إلى الآن. واللغة العربية إحدى من اللغات التي وصلت على درجة الكمال ويستخدم بها القرآن، وملائم في اختيار الأحرف بين الأصوات الصامتة والأصوات المتحركة ويهز جمالها على القارئ أو السامع. فجماعة الحرف والكلمة والجملة لعل جمالها. قال زرقاني^١ كما نقل شهاب الدين قليوبي في أسلوب القرآن. يقصد بملائم أصوات القرآن هو ملائم في تركيب الحركة وأصوات المد والغنة. للقرآن أسلوب اللغة الجيدة التي تختلف باللغة العربية الفصيحة. إختيار فيه الأحرف والكلمة الجيدة ومن المعنى والبيان.

^١ محمد عبد الدين الزرقاني، *مناهل الإرفان في علوم القرآن* (القاهرة: عسى باب الهلب والشركة)، ص. ٢٠٥.

لذا فإنه يجب علينا أن نقرأ القرآن كما أنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. وكما قرأه الرسول عليه الصلاة والسلام على أصحابه بتؤدة واطمئنا وتأن ومرسل مع إعطاء الحروف حقها من المخارج والصفات ومستحقها من المد والغنة والإظهار والإدغام... إلخ من ظواهر السابقة كان مجال هذا البحث هو بحث المقاييس فونيم فوق التركيبي في القرآن بتحليل فونولوجي. ويرجى من هذا البحث معرفة معنى فونيم فوق التركيبي في القرآن. وعلى ذلك لم تنتشر البحوث عن فونولوجي القرآن وترجى الباحثة أن تكون هذا البحث معرفة للقارئ.

ب. البحث

١. تعريف علم الأصوات (الفونولوجي)

إن الأصوات الذي يحدثه الإنسان عند النطق للتعبير عما يريد هو موضوع علم الأصوات اللغوية، ويتمثل مجاله في الوحدات الصوتية التي تتألف منها الكلمات، فكلمة (الرجل) تتركب - مثلاً - من صوت الراء - وصوت الفتحة وصوت الجيم وصوت الضمة وصوت اللام. ويمكن تسمية كل منها بالصوت اللغوي، وهذه الوحدات الصوتية هي موضوع علم الأصوات الذي يقوم الباحثة فيه بدراسة الأصوات اللغوية. والتعرف على مخارجها وكيفية خدوتها، وكذا التعرض للصفات المختلفة التي يمتاز بها كل صوت، وكل ذلك أطلق عليه الأوروبيون اسم الفونينيك. وتطلق هذه التسمية - أيضاً - على مجموعة

الدراسات التي تعالج اصوات اللغة، وتبين كيفية النطق بها وطبيعتها الفزيائية.^٢ فالفوناتيک هو علم الأصوات ويعرف بأنه (العلم الذي ينظر في الأصوات في حد ذاتها ويدرس صفاتها من حيث إخراجها بل وحتى من حيث سماعها).^٣

ومن جانب الآخر أطلق الأوروبيون اسم فونولوجيا على مجموعة الدراسات التي تعنى بالقوانين الصةتية، وتكشف عن مدى تأثر الأصوات بعضها بعض عند تركيبها في الكلمات والجمل. وذكر كانتينو أن الفونولوجيا هي (وظائف الأصوات) وعرفه بأنه (علم يدرس الأصوات من حيث وظائفها في الإستعمال اللغوي).^٤

٢. أنواع الفونيم

ومن العلماء من ينقسم الفونيمات على نوعين: فونيمات (رئيسية) وأخرى (ثانوية). ويعنى بالفونيم الرئيسية تلك الوحدة الصوتية التي تكون جزءا من أبسط صيغة لغوية ذات معنى منعزلة عن السياق. أم قال: الفونيم الرئيسية هي ذلك العنصر الذي يكون جزءا أساسيا من الكلمة المفردة وذلك كالباء والتاء والثاء... إلخ. أما الفونيم الثانوية فهي ظاهرة أوصفة صوتية ذات مغزى في الكلام المتصل. فالفونيم الثانوية –

^٢لجان كانتنو، دروس في علم الأصوات العربية، ترجمة صالح القرمادى(التونسية : نشرالجامعة، ١٩٦)،

ص. ١٧.

^٣ نفس المصدر : ص ١٧.

بعكس الرئيسية - لا تكون جزءا من تركيب الكلمة، وإنما تظهر وتلاحظ فقط حين تضم كلمة إلى أخرى، أو حين تستعمل الكلمة الواحدة بصورة خاصة، كأن تستعمل الجملة. ومن ثم سميت فينمات النوع الأول بالفونيمات التركيبية. أما النوع الثاني فونيمات فوق التركيب.^٥

ومن الفونيمات الثنوية نوعان (النبر والتغيم)

وللنبر والتغيم وظيفة حيوية في كل اللغات ولهما أهمية كبرى في بيان خصائص الكلام الإنسان. ومن جانب آخر أطلق الأوروبيون الطول والقصر والإشمام.

نعلم أن الكلمات مكونة من أصوات متتابعة مترابطة. فالصوت أو المقطع الذي ينطق بصورة أقوى مما يجاوره يسمى صوتا أو مقطعا منبورا. فالصوت أو المقطع المنبور ينطق ببذل طاقة أكثر نسبيا. ويطلب من أعضاء النطق مجهودا أشد. لاحظ مثلا الفرق في قوة النطق وضعفه بين المقطع الأول في ضرب وبيين المقطعين الآخرين: (ض / ر / ب) ، نجد [ض] ينطق بارتكاز أكبر من زميله في الكلمة نفسها، وهذا الشيء نفسه يلاحظ في المقطع [كا] من كاتب، وكذلك المقطع [رو] من مضروب... إلخ.

^٥ كمال محمد بشر ، علم اللغة العام / الأصوات (القاهرة : دار المعارف ، ١٩٨٠) ، ص. ١٦١

وللنبر علامات في الكتابة الصوتية فالقوي يرمز إليه بالرمز ['] ويوضع قبل المقطع المنبور مباشرة، أما الوسيط فعلاماته [،]. أما المقطع المنبور نبرا ضعيفا فيترك عادة بلا علامة أو رمز. والنبر حين يوجد في الكلمة المفردة يسمى نبر الكلمة: ولكن هذا النبر قد يعتدل من حيث المكان ومن حيث القوة والضعف في الجمل والعبارات، وهذا التعديل يعتمد في الغالب على أهمية الكلمات كما يعتمد على التنعيم.^٦

والتنعيم هو مصطلح يدل على إرتفاع الصوت وخفضه في الكلام، ويسمى أيضا موسيقى الكلام. إننا نلاحظ أن الكلام يختلف نغماته ولحونه وفقا لأنماط التركيب والموقف، ويساعد هذا الاختلاف على فهم المعنى المقصود.

ومن جانب الآخر إعتبار الطول فونيم فوق التركيبي، فمن الممكن أن نعتبر الفتحة الطويلة هي القصير + فونيم الطول، والكسرة الطويلة هي القصيرة + فونيم الطول، والضممة الطويلة هي القصيرة + فونيم الطول.^٧ وحين نتحدث عن الطول نعني الطول الطبيعي للصوت، لأن كل صوت يمكن إطالته بقدر ما يسمح الهواء. وحتى الأصوات الوقفية يمكن إطالته لبعض الوقت عن طريق إطالة الغلق لفترة معينة.

^٦ كمال محمد بشر، علم اللغة العام الأصوات. (القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٠). ص ١٦٢.

^٧ وقد كان المتقدمون من النحاة العرب - كما يقول ابن جني - يسمون الفتحة الألف الصغيرة، وكسرة الياء الصغيرة، والضممة الواو الصغيرة. (أنظر كتابنا البحث اللغوي عند العرب. ص ٨٨)

ورغم أن الطول لا يعد فونيميا في معظم اللغات – ومنها العربية – إلا بنسبة للعلل الطويلة في مقابل القصيرة.^٨ فقد قام العلماء بقياس استمرارية كل صوت، أو كل نوع. من الاصوات على حدة. وقد تبين أن الصوت الواحد قد يختلف طوله طبعاً لمحيطة الصوتى، ولموقعه في الكلمة، وبسرعة المتكلم ولوجود النبر أو عدمه ولنغمة الكلام. وهذا بيان سريع بأطوال بأصوات اللغة العربية محسوبة بالجزء من الألف من الثاني، ومراعى فيها أن تكون في وسط الكلمة.^٩

٣. مقاييس معنى الفونيم فوق التركيبى في آية القرآن

قد تجعل أصوات اللغة المركبة مشكلة من ناحية الكلمة او الجملة. لأن وجود صوتان قاربتان تسبب على تغيير المعنى، ومن جانب ذلك إلقاء الحرف المختلف يسبب على تغيير لمعنى. وهنا بيان مقاييس معنى الفونيم فوق التركيبى في آية القرآن:

أ. النبر

يتألف الكلام من ألفاظ، وكل لفظ يتألف من أصوات متتابعة مترابطة يقود أحدها إلى الآخر. وهذه الأصوات في الكلمة ليست بقوة

^٨ مثل كاتب : كتب، وعوهد : عهد، وبيع : بع. ويجب التنبيه على أن الصّـت المضعف في مقابل البسيط لا يعد تقابلاً للطويل في مقابل القصير. وانظر بخصوص هذا داود عبده دراسات في علم الأصوات العربية . ص ٢٥ وما بعدها.
^٩ أحمد مختار عمر ، دراسة الصوت اللغوي، (القاهرة : عالم الكتب ، ١٩٩٧) ، ص ٣٦٢ .

نفسها، وإنما تتفاوت فيما بينها قوة وضعفا، بحسب موقع الذي تقع فيه، وأي إنسان حين ينطق بلغته يميل - عادة - إلى الضغط على مقطع الكلمة، وهذا المقطع المغضوط هو موضع النبر، وأن ضغط هو أهم عوامل النبر، ويطلق عليه في اللغة الإنجليزية : 'Stress'

للنبر دور ضروري في تمييز الشكل ومعنى الكلمة عند بعض اللغات. و موقع النبر في اللغة العربية يسبب على تغيير معنى الجملة، وفوق ذلك لا تصل معنى الجملة الجيدة بلا النبر. كما ذكر في آية القرآن الآتى: وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ (ال عمران: ١٩٨)

ولابد أن يقع النبر على الكلمة (خير)، وليس يقع النبر على الكلمة (ما) وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ، فبمعنى ما نزل الله من شيء خير.

ومشكلات القراءة في آية السابقة في علم الفونولوجى يسمى "بالنبر القوي" ويرمز إليه بالرمز (') ويتصف النبر بصفة المعجم فهو النبر الذي يوجه على معناها المقصود. وإذا وقوف النبر لا يطابق في الكلمة تسبب على تغيير معنى الجملة.

ونلاحظ مثالا آخر في آية القرآن: يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَأَجْلُودٍ (الحج: ٢٠)، ويقع النبر في هذه الآية على الكلمة (بطونهم) وليس على الكلمة (ما في)، لأن إذا يقع النبر فيها بمعنى (لا يوجد في بطونهم وجلودهم) يسبب على تغيير المعنى وصعوبة فهم الكلمة والجملة.

^{١٠} مناف مهدي محمد الموسو، علم الأصوات اللغوية (بيروت : عاليه الكتب ، ١٩٩٨) ، ص. ١٢٥ .

ومشكلات القراءة في آية السابقة في علم الفونولوجي يسمى "بالنبر المتوسط" ويرمز إليه بالرمز (٠). وانطلاقا على ذلك أن موقع النبر في الجملة يتأثر علي معنى الآية.

ودليل آخر كما ذكر في آية القرآن: قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهِو وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (الجمعة: ١١). ويقع النبر السابقة في الكلمة (خير) وليس في كلمة (ما)، لان إذا يقع النبر في كلمة (ما) بمعنى "لا يوجد من عند الله خير من اللهو ومن التجارة". وتحليل في علم الفونولوجي هو "النبر القوي" ويرمز إليه بالرمز (٠) .

ومقاييس المعنى فونيم فوق التركيبي مؤثر علي تغيير المعنى الكلمة أو الجملة. ويؤثر عليه أمرين:

- أ. وإذا لا يطابق النبر على تركيب المعلوم أن يكون مجهولا.
- ب. وعكس ذلك، فإذا لا يطابق نبر على تركيب المجهول أن يكون معلوما.

وانطلاقا على مشكلات السابقة أن موقع النبر في القرآن يسبب علي تغيير معنى الجملة إما في المعلوم أو المجهول.

والإستنباط من وظيفة النبر في ثلاث آيات القرآن السابقة كمايلي:

- أ. وفي آية الأولى تحتوى على تركيب المعلوم، ومن الممكن أن يكون مجهولا إذا وضع النبر في كلمة أخرى.

ب. وفي آية الثانية تحتوى على تركيب المعلوم، ومن الممكن أن يكون مجهولاً إذا وضع النبر في كلمة أخرى.

ت. ج. وفي آية الثالثة تحتوى على تركيب المعلوم، ومن الممكن أن يكون مجهولاً إذا وضع النبر في كلمة أخرى.

ب. التنغيم

التنغيم هو تغيير في الأداء بالارتفاع الصوت والنخفاضه في أثناء الكلام العادي للدلالة على المعاني المتنوعة في الجملة الواحدة.^{١١} وهذا يعني أن التنغيم فائدة في معرفة نوع الجملة إن كانت إستفهامية أو تقريرية أو للتعجب أو للازدراء والسخرية، وكل ذلك يتضح من خلال كيفية قراءة الجملة، فعندما نقول " ذهب محمد إلى الجامعة اليوم" ونغير نغمة الصوت في كل مرة، نفهم في كل أداء معنى معيناً، بحسب علو الصوت وانخفاضه وكذا باختلاف الترتيب العام لنغمات المقاطع وتأثير قوة اللفظ.

وهنا نلاحظ مقاييس المعنى بعض التنغيم في آية القرآن:
وَإِذْ بَتَلَّا إِبْرَاهِيمَ رَبَّهُ بِكَلِمَاتٍ فَاتَمَّهَنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا
قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (البقرة: ١٢٤).

^{١١} مناف مهدي محمد الموسو، علم الأصوات اللغوية (بيروت : عاله الكتب ، ١٩٩٨)، ص. ١٣٤

قبل تحليل آية السالقة، نلاحظ عن أدوات الإستفهام في اللغة العربية، وهي كما يلي:

١. من ومن ذا: يستفهم بهما عن الشخص العاقل، نحو: مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفُ لَهُ (البقرة: ٢٤٥)

٢. ماوذا: يستفهم بهما عن غير العاقل من الحيوانات والنبات والجماد والأعمال عن حقيقة الشيء أوصفته، سواء أكان هذا الشيء العاقل أم غير عاقل نحو: ماالنخل؟

٣. متى: يستفهم به عن الزمانين ، الماضي والمستقبل، المثال: مَتَى نَصْرُ اللَّهِ (البقرة: ٢١٤)

٤. أين: ظرف يستفهم به عن المكان الذي حل فيه الشيء نحو: أين كنت؟

٥. أيان: ظرف بمعنى الحين والوقت ويقارب معنى "متى" ويستفهم به عن الزمان المستقبل لا غير، نحو: يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ (الذاريات: ١٢)

٦. كيف: إسم يستفهم به عن حالة الشيء، نحو: كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ (البقرة: ٢٨)

٧. أنى: تكون للإستفهام بمعنى "كيف"، نحو: يَأْمُرُكَ أَنَّى لَكَ هَذَا (آل عمران: ٣٧)

٨. كم: يستفهم بها عن عدد يراد تعيينه، نحو: كم عمرك؟

٩. أي: يطالب بها تعيين الشيء، نحو: أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا (التوبة: ١٢٤)^{١٢}

بعد أن لاحظنا الآيات وأدوات الإستفهام السابقة خطر ببالنا الأحوال المتعلقة بمعنيها المذكورة. ولقد فهمنا عن إسم الاستفهام هو إسم مبهم يستعلم به عن شيء.

رجعنا إلى آية المذكورة، لا توجد فيها الكلمة التي تدل أدوات الإستفهام، ولكن إذا نلاحظها في جملة "وَمِنْ ذُرِّيَّتِي" بمعنى "على جميع أسرتي" سأل إبراهيم إلى الله، بلا أدوات الإستفهام ولكن يدل على معنى الإستفهام. وَمِنْ ذُرِّيَّتِي بمعنى أَوْ مِنْ ذُرِّيَّتِي ؟ يحتاج الإجابة من الله عزوجل. وهنا تحتاج إلى معونة التنعيم.

والاستنباط من آية السابقة وهي الجملة التي تصح أن تكون إستفهاما بدون أداة أي الجملة التي تقتضي الإجابة عنها بلا أو نعم. فهذه الجملة تخلو عادة من أدوات خاصة. وحينئذ يكون إعتقادنا على التنعيم بمساعدة المقام والسياق. أما في الفصحى ففي مثل هذه الجملة توجد أدوات الإستفهام وهي هل أو همزة ولكنها هي الاخرى تحتاج إلى معونة التنعيم. وهناك مثال آخر:

^{١٢} الشيخ مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية موسوعة في ثلاثة أجزاء (القاهرة: دار الحديث، ٢٠٠٥)،

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ
 اللَّهِ وَكَفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ
 مِنَ الْقَتْلِ

وفي آية السابقة وجدنا الجملة " قِتَالٍ فِيهِ " لا تدل على
 الاستفهام، ولكن إذا رأينا في جملة واحدة تدل على معنى الإستفهام.

ج. الطول والقصر

أن هؤلاء العرب قد أدركوا معنى هذه الأصوات التي سمها
 بالحركات كما كانوا على علم بالفرق بينها وبين الأصوات الصامتة في
 الطق والصفات. وكذلك أدركوا أن هناك حركات قصيرة وأخرى طويلة
 وعبروا عن الفرق بين القصر والطول في عبارات دقيقة تدل على العمق
 والمذوق.

وأقام الدليل كمية في اللغة العربية لا بد على وجود المعارضة بين
 الحركات القصرة والحركات الطويلة. كما في آية القرآن: وَلَا خَوْفٌ
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (البقرة: ١٧٧). إذا نظرنا معارضة الجملة بين وَلَا
خَوْفٌ (بلام النهى، بحركات الطويلة): وَلَحَوْفٌ (بلام التوكيد، بحركات
 القصيرة) وجدنا الفرق الواضح في معانيهما. كما في المثال الآخر: قَدْ
خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ. إذا نظرنا معارضة الجملة بين كَذَّبُوا (بحرف
 الواو، بحركات الطويلة): كَذَّبُ (بلا حرف الواو، بحركات القصيرة) وجدنا
 الفرق الواضح في معانيهما.

وجدنا مثالا أخرى في آية القرآن عن أحكام الإظهار والغنة. وتلك الأحكام شئ ضروري عند علم فونولوجي، لأن كل الصوات يتصف بصفات خاصة، كما الأصوات المؤثرة بمعنى الكلمات ولا مؤثرة بها. وقبل نستخرج من بعض الأمثلة أوجه معنى الإظهار في إصطلاح علماء القراء والتجويد.

هو إخراج الحرف من مخرجه بدون غنة. وتظهر النون الساكنة أو التنوين بدون غنة، إذا وقع بعدها أحد أحروف الستة. الهمزة، الهاء، الخاء، الحاء، العين، الغين، وهي تعرف بحرف الحلق.^{١٣} إن الأمثلة في القراءة مستفيضة في أحكام الإظهار للنون والتنوين بدون غنة. وإذا تدبرنا هذا الموضع نجد أن عدم وجود الغنة (وهي التي نستغرق مدة في التلاوة) يعني أن الأمر يأتي بدون الزمن، أي: بسرعة فائقة مما يفسر أن هذه الكلمة والكلمة التي تليها ملتصقتان تماما ولا يوجد أي فاصل بينهما. والأمثلة الآتية توضح هذا المعنى: فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) و مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (الزلزلة: ٧-٨). نجد في (ذَرَّةٍ خَيْرٍ) إظهارا لتنوين بدون غنة، لأن الكلمة التي بعدها تبدأ بحرف (الهاء) وهو حرف من حروف الحلق. ويأتي المعنى عن طريق التصاق (مِثْقَالَ ذَرَّةٍ) (خَيْرًا) حيث لا توجد غنة أو مسافة، مما يوضح المعنى المراد بأنه حتى مثقال الذرة من الخير ملتصق بالإنسان ولا ينفصل أبدا. أما في حلة (

^{١٣} محمد شملول، إعجاز رسم القرآن وإعجاز التلاوة (القاهرة: دار السلام، ٢٠٠٧)، ص ٢٠٣.

مِثْقَالِ ذَرَّةٍ) (شَرًّا) فنجد أن هناك غنة في التنوين مما يعنى وجود مسافة بين مثقال الذرة والشرّة، مما يوحي بإتاحة الفرصة للبشر للتوبة، ويؤكد ذلك ما روي من أن هناك ملكين كلف أحدهما بكتابة فعل الخير بصورة فورية، وكلف الآخر بإمهال في كتابة البشر. ومثال الآخر من أحكام الإظهار والغنة فهو وجود المد في القراءة لبعض أحرف الكلمة القرآنية يعتبر ظاهرة من ظواهر وزيادة أحرفها. كما ذكر ابن جني في الخصائص أن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى. ومثل هذه الكلمات كثيرة جدا في القرآن الكريم إنما سنذكر بعضها حسب الآتى:

- فإذا جاءت الطّامة الكبرى: النواعات: ٣٤

- وَمَا أَذْرَبَكَ مَا الطَّارِقِ (الطارق: ٢)

- وَمَا أَذَرَبَكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (القدر: ٢)

- وَمَا أَذْرَبَكُمْ الْخَطْمَةُ (الهمزة: ٥)

- وَمَا أَذْرَبَكَ مَالْعَقْبَةُ (البلد: ١٢)

حينما ننظر إلى هذه الكلمات نجد أن كلا منها يدل على شيء عظيم غير عادي، لذا جاء المد بيزيد المعنى. وحينما نقارن المد في كلمة (الطّامة) بعد وجوده في كلمة قرآنية أخرى قريبة في المعنى وهي (القارعة) نجد أن عدم وجود المد في القارعة مطلوب بشدة لتحقيق معناها وهو أنها (تقرع) آذان الناس وهو شيء لا يلتزم زمنا فهو كحظي ليدل على الفجاءة، ولا يحتاج مدا أو مدة.

وجاء مد الصلة الطويلة ليدل على عظمة قدر الله سبحانه. وبالنسبة للمد اللازم المثل "لوجود التشديد بعد حرف المد". نذكر المثال الآتي: صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ.

نجد أن كلمة (الضَّالِّينَ) ممدودة مدا لازما مثقلا مقداره ست حركات على عكس كلمة (الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ) بدون مد. ويدل مد كلمة ((الضَّالِّينَ)) على كثرة هؤلاء الضالين ووفرته وهم (النصرى) ومن ضل من الأمم الأخرى ومن ضل من المسلمين أيضا. وذلك بالمقارنة (الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ) وهم اليهود حيث جاءت بدون مد زائد لتدل على قلة عددهم.

د. الإشمام

الإشمام في التلاوة هو ضم الشفتين كمن يريد النطق (بضمة) ولكنه في الحقيقة ينطقها (فتحة)^{١٤}. وقد جاء هذا الحكم في تلاوة قوله تعالى: قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ (يوسف: ١١). وقراءة الميم قبيل النون المشددة في كلمة (تَأْمَنَّا) هي ما يسمى الإشمام. وحين نقرء الميم في هذه الكلمة بالفتحة وشفطانا مضمومتان فينتج عن ذلك نطق يدل على التردد وعدم الثقة في إجابة الطلب. وهو بالفعل مانان عليه إخوة يوسف حينما طلبوا من أبيهم أن يرسله معهم، لأنهم كانوا

^{١٤} محمد شملول، إعجاز رسم القرآن وإعجاز التلاوة (القاهرة: دار السلام، ٢٠٠٧)، ص. ٢١٩.

يؤكدون لأحيهم وكانوا في ربيهم يترددون، لذا كان هذا الحكم في التلاوة ليوضح المعنى أصدق توضيح.

هـ. الإختتام

إن هذا الموضوع يجب أن يهتم به أهل الفكر الإسلامى في كل بقاع الدنيا، لأنه يحتاج إلى دراسات وأبحاث مستفيضة. إنه وجه عظيم من أوجه معجزات القرآن الكريم الذي لا تنقضى عجائبه، لا يمكن لفرد أو لأفراد أن يحيطوا بعلمه ولكن يجب عليهم المحاولة والتدبر والتفقه. إن هذه الدراسة الموجزة تعتبر مقدمة أو مدخلا في بيان معانى وأحكام القرآن الكريم من خلال أحكام التلاوة. وإن هذا الموضوع يحتاج مزيدا من البحث والدراسة والتدبر لإدراج المعانى المتجددة للقرآن الكريم. أرجو الله أن يوفقنا جميعا لتدبر القرآن الذي لا تنقضى عجائبه إنه نعم المولى ونعم النصير.

المراجع

القرآن الكريم

كمال محمد بشر، علم اللغة العام الأصوات (القاهرة: دار المعارف،
١٩٨٠)

الشيخ مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية موسوعة في ثلاثة أجزاء
(القاهرة: دار الحديث، ٢٠٠٥)

مناف مهدي محمد الموسو، علم الأصوات اللغوية (بيروت: عال
الكتب، ١٩٩٨)

لجان كانتنو، دروس في علم الأصوات العربية، ترجمة صالح
القرمادي (التونسية: نشرالجامعة، ١٩٦٦)

محمد عبد الدين الزرقاني، مناهل الإرفان في علوم القرآن (القاهرة: عسى
باب الهلب والشركة)

محمد شملول، إعجاز رسم القرآن وإعجاز التلاوة (القاهرة: دار السلام،
٢٠٠٧)

أبي الفتح عثمان بن جني، الخصائص الجزء الثالث (القاهرة: إدارة
التراث، ١٩٩٩)